سـألك ، يسـألك ، يسـألونك

في القرآن الكريم

قـراءة لغوية تفسيريـة

الاستاذ المساعد الدكتور
عامر عيدان علي اللامي
رئيس قسم العلوم
الإسلامية
الكلية التربوية المفتوحة

تقديم:

أحاط الله تعالى نبيه الكريم محمداً ﷺ علماً بما سأله أو يسأله الناس عن موضوعات مختلفة تتعلق بجوانب من حياتهم ، تشريعية كانت أم عبادية أم اقتصادية أم اجتماعية ... الخ ، دنيوية كانت أم آخروية .

وقد بينت الآيات في الكتاب الكريم الأسئلة على لسان السائلين ، كما بينت توجيه الخالق سبحانه لنبيه ﷺ كيفية الرد عليها ، والظاهر ان الأسئلة الموجهة وسياق الإجابة عنها تضمنت درساً تربوياً للناس ، وتبياناً للرسول الكريم فيما سئل عنه ، وشرعة ومنهاجاً للامة ، والمتأمل في الآيات الكريمة – في سياق هذه الأفعال – يجد أن أكثرها احتوت أحكاماً من خلال أسلوب جديد ومتميز في لغة العرب الأدبية هو أسلوب (يسألونك... قل) الذي لم نألفـه في لغتهم شعراً ونثراً .

ان هذه الدراسة وقفت عند الفعل (سأل) المسند إلى كاف المخاطب، والمعني به الرسول الكريم ﷺ ، إذ وجدت أن الأسئلة الموجهة إليه ﷺ من قومه انتظمت في ثلاث صيغ فعلية هي (سألك ، يسألك ، يسألونك) ، فضلاً عن صيغة أخرى تقترب منها هي صيغة (يستفتونك) ، وهذه الصيغ جميعها حملت في سياقاتها موضوعات مختلفة طلب من الرسول الكريم ﷺ ، أو سيطلب منه الإجابة عنها ، ووضع سبحانه تلك الإجابة ابتداء في كتابه العزيز .

الدراسة هذه تحيط بالصيغ وآياتها ، وموضوعات الأسئلة ، وسياقات الإجابة عنها ، فضلاً عن مقاربات لغوية وتفسيرية أجد فيها كشفاً وإضاءة لموضوعات لغوية أو دلالية أو اعجازية ... الخ .

وأود الإشارة هنا الى أن ثمة آيات كريمة احتوت صيغاً أخرى من نحو (سأل ، يسأل ، يسألون ، يتساءلون) بضمير الغيبة ، كقوله تعالى : ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ﴾ (المعارج/١) ، ﴿ **يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ** ﴾ (القيامة/٦) ﴿ **يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ** ﴾ (الذاريات/١٢) ﴿**عَمَّ يَتَسَاءلُونَ**﴾ (النبا/١) ، لم تعرض لها الدراسة ، اذ اقتصرت على الصيغ المسندة الى ضمير المخاطب ، الرسول الكريم ﷺ ، ذلك لان الأسئلة موجهة إليه حصراً ، اما صيغ الغيبة فقد تكون موجهة إليه أو إلى غيره ، أو على سبيل الاستفهام المطلق غير المقصود به طرف بعينه .

اما موضوعات الصيغ الثلاث – موضع الدراسة – فقد اشتملت على خمسة عشر موضوعاً هي : - بحسب الترتيب الالفبائي –

(الذات الإلهية (الله) سبحانه، إنزال كتاب سماوي، الإنفاق، الأنفال، الأهلة، الجبال، الخمر، ذو القرنين، الروح، الساعة، القتال في الشهر الحرام ، ما احل لهم ، المحيض ، الميسر ، اليتامى)، اما الصيغة الفعلية (يستفتونك) فقد جاءت في موضعين من الكتاب الكريم ، في سورة (النساء) هما قوله تعالى ﴿**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ**﴾ (النساء/١٢٧) وقوله تعالى ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ**﴾ (النساء/١٧٦) فإذا ما ألحقنا موضوعي النساء والكلالة بالموضوعات السابقة يصبح المجموع سبعة عشر موضوعاً مستفهماً عنه او مستفتى فيه.

والفرق بين السؤال والاستفتاء ، ان السؤال ما يسأله الإنسان أو يطلبه والفقير يسمى سائلاً ، وسأله الشي وسأله عن الشي سؤالاً ومسألة وتساءلوا: سأل بعضهم بعضاً [١] . وافتاه في الأمر : إبانه له ، والفتيا والفتوى – بالضم والفتح – ما أفتى به الفقيه ، والفقيه يفتي : أي يبين المبهم ، ويقال الفتيا فيه كذا وأهل المدينة يقولون : الفتوى [٢] . واستفتاه في مسالة فأفتاه ، والاسم الفتيا والفتوى وتفاتوا إليه : ارتفعوا إليه في الفتيا، والاستفتاء والاستقضاء بمعنى واحد ، يقال : فأتيته وقاضيته ... وأفتى في المسالة : بين حكمها ، ويستفتونك : يسألونك الفتوى ، وهو تبيين المشكل من الأحكام [٣] . ويبدو أن السؤال استفهام عن الشي أو وطلب الفهم دلالة أو حكم شرعي او بيانه ، اما الاستفتاء فهو بيان الحكم الشرعي حسب ، فضلاً عن ان السؤال يوجه الى الناس على اختلاف منزلهم ومستوياتهم وإدراكهم ، اما طلب الفتوى فهو ما يوجه الى المفتي أو الفقيه حسب ، وعليه فان السؤال اعم من الاستفتاء

أسأل الله أن يوفقنا ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

أولا : صيغة الزمن الماضي (سألك) :

ذكرت الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ (البقرة/١٨٦) متوسطة آيات الصيام وتلخيص أحكامه وأوقاته ومتعلقاته (الآيات ١٨٣– ١٨٧) .

والخطاب فيها موجه للنبي ﷺ ، وقد ذكر المفسرون ان سائلاً سأل النبي ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية وقيل إنها نزلت جواباً لقوم سألوا النبي كيف ندعو [٤] ؟ .

في الآية الكريمة جملة مسائل :

أ. تفرد هذا الموضع في صيغة (سألك) بالماضي ، فيما جاءت الصيغ الأخرى بالحال والمستقبل ، فهل يعني ان الزمن هنا أريد به الماضي

المنقطع عن الحاضر والاستقبال ، أم أريد به الماضي المستمر إلى الحاضر ؟
الملاحظ ان الفعل (سألك) جاء مسبوقاً بـ(إذا) ، و(إذا) عند النحاة تفيد ما يستقبل من الزمان ، وان (إذا فعل) تستعمل في الزمن المستمر في الأحوال كلها ، الماضية والحاضرة والمستقبلة ، كقوله تعالى ﴿ **وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى** ﴾(النساء/١٤٢) [٥] . وفي قوله تعالى ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ** ﴾.. الآية) تأكيد على ان الدلالة الزمنية للفعل تنصرف الى الحاضر والمستقبل ، وهذا يعني ان دلالة (سألك) في الآية لم يرد بها الماضي البعيد أو القريب أو المطلق وانما أريد بها الماضي المستمر الى المستقبل ، بمعنى ان ﴿ **إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي** ﴾ سابقاً وحاضراً ومستقبلاً ﴿ **فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ ، وبهذا تقترب الصيغة الفعلية زمناً من صيغة (يسألك) و (يسألونك) في دلالتها على الحاضر والمستمر .

ب. وتفرد هذا الموضع أيضاً بسؤال السائلين عن الله سبحانه تحديداً ، فيما جاءت الأسئلة في الآيات الأخرى عن موضوعات مختلفة، وقد اخبر سبحانه رسوله الكريم والسائلين عن ذاته الكريمة بخبرين متعاقبين في سياق توكيدي، بأنه قريب، وانه مجيب دعوة من دعاه .
والسياق هنا مختلف عن سياق ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ حين خاطب الله نبيه بـ (قل) جواباً لمن سال عن نسبة الله او صفته ، فالسائلون في آية (البقرة) موصوفون بالعباد (عبادي) ، اما السائلون في آية (الإخلاص) فقد قيل انهم المشركون أو اليهود أو أحبارهم أو أناس بعينهم من قريش[٦] . ان السياق في آية (الإخلاص) يؤكد وحدانية الله سبحانه وتفرده بصورة مطلقة اما سياق آية (البقرة) فقد تضمن عهداً منه سبحانه الى عباده بقرب الإجابة أو سرعتها ، كما تضمن طلباً، بل طلبين ، بان يستجيب هؤلاء العباد له ، وان يؤمنوا به ﴿ **فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي**﴾ ، فضلاً عن ان الآية الكريمة جاءت متوسطة آيات الصيام في شهر رمضان ، الذي وعد سبحانه عباده بالطاعة وطلب المغفرة والدعاء فيه ، لان أبواب السماء مفتحة فيه للسائلين ، فالآية الكريمة

جاءت متناسبة مع الموضع الكريم في سياق موضوعه الصيام والدعاء الذي ينبغي أن يترافق معه .

جـ. خلا السياق الكريم من فعل الأمر (قل) ، الذي يرد في سياق (يسألونك – قل) – ما عدا النازعات - ، وذكر المفسرون ان هناك حذفاً مقدراً في الآية ، على تقدير : وإذا سألك عبادي عني فقل أني قريب [٧] . أي : قل يا محمد . ويبدو – والله اعلم – ان الاستغناء عن الفعل (قل) هنا ، انما أراد سبحانه ان يصف ذاته الكريمة ويخبر عنها مباشرة من دون ان يكون هناك وسيط لنقل الخبر من خلال (قل). بمعنى انه ليس مطلوباً من الرسول ﷺ أن يخبر عنه سبحانه ، بل اخبر بنفسه عن نفسه ، والسياق هنا مختلف عن سياق ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، ذلك لان المناسبة في السورة ان ثمة من يسأل عن نسبة الله أو صفته ، وليس في الآية السؤال عن النسبة والوصف ، بل عن القرب أو ضمان الإجابة .
واختلف المفسرون في دلالة القرب في الآية ، هل القرب في المسافة والمكان تحديداً ، أو في سرعة الإجابة ، أو في سماع الدعاء ؟ واستبعد بعضهم قرب المسافة ، لأنها من صفات المحدثات ، كما اختلفوا في كون القرب يعني صفة من صفاته سبحانه ، أو يعني فعلاً من أفعاله جل شانه [٨] .

د. بينت الآية الكريمة جهة السائل وتم تعيينها بقوله تعالى (عبادي) ، في الوقت الذي جاء تعيين السائل في صيغة (يسألك) بنوعين من السائلين هما (الناس) و (أهل الكتاب) – كما سنرى – ولم يتعين السائل مطلقاً في صيغة (يسألونك) ، بمعنى ان السائل / الفاعل جاء ضميراً في هذه الصيغة.

الملاحظ انه سبحانه أضاف السائلين في هذه الآية وهم العباد الى نفسه جل شأنه ، إيذاناً منه ان الذي يسال هنا معترف ضمناً بالعبودية لله والانقياد له والخضوع إليه ، بمعنى ان التوجه بالدعاء عبادة بحد ذاتها ، وذلك عندما يتوجه الإنسان إلى ربه ليطلب منه حاجة ما ، فخصّص السائلين هنا بصفة

العباد ، ولم يقل سبحانه مثلاً وإذا سألك الناس ، أو : وإذا سألك الذين امنوا ... الخ ، ذلك لان الناس فيهم من يعبد الله ، وفيهم من يعبد غيره ، اما الذين آمنوا فليسوا بحاجة الى السؤال عنه سبحانه ، أو الاستفهام عن طبيعة إجابته وكيفيتها ، وذلك لإيمانهم ابتداء وقناعتهم به سبحانه ، فجاء اللفظ في الآية الكريمة تخصيصاً للفاعل / السائل ، على نحو من التقدير والتكريم فيما يبدو ، ومن المعروف ان الله تعالى خص نبيه الكريم بصفة العبودية تكريماً له ، قال تعالى ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً** ﴾... الآية) ، ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ** ﴾ (الفرقان/١) ، كما خص بعض انبيائه بها ، قال تعالى : ﴿**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا** ﴾ (مريم/٢) ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ – الملائكة - /٣٢) ، كما خص سبحانه المتقين بالصفة نفسها ، قال تعالى ﴿**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ** ﴾ (الزخرف/٦٨)، ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ (الفرقان/٦٣) .

ثانياً : صيغة الحال والاستقبال (يسألك) :

جاءت الصيغة في موضعين من القرآن الكريم هما قوله تعالى ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء** ﴾ (النساء/١٥٣)، وقوله تعالى﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ** ﴾ (الأحزاب/٦٣) . السؤالان في الآيتين مختلفان في موضوعهما ، فالأول طلب بإنزال كتاب من السماء ، والآخر عن الساعة ، كما انهما مختلفان في السائلين ، فالسائلون عن إنزال الكتاب هم من غير المسلمين ، وهم اليهود تحديداً ، بدليل قوله تعالى في سياق الآية ﴿ **فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ** ﴾ (النساء/١٥٣) ، اما السائلون عن الساعة فهم الناس بعامتهم ، والآيتان مصدرتان بالفعل المضارع المسند الى كاف الخطاب ، والمعني به الرسول الكريم ﷺ ، فالسؤالان موجهان إليه تحديداً .

والمتأمل في الآيتين الكريمتين يجد عدم اقتران الصيغة الفعلية بفعل الأمر (قل) في آية أهل الكتاب ، واقترانها به في آية السؤال عن الساعة من عامة الناس .

يبدو – والله اعلم – ان دلالة الفعل (قل) في الآية طلب من الله سبحانه لرسوله الكريم أن يجيب كل من يسأله عن الساعة بهذا الجواب ، بمعنى ان الله وحده هو العالم بها وبوقت قيامها ، فاخبر رسوله أن يجيبهم بما يقطع عليهم المساءلة الآن وبعد الآن في موضوع الساعة ووقتها ، فان علمها عنده وحده سبحانه ، وقد استأثر به ولم يؤته أحداً من خلقه ، لان ذلك من علم الغيب قال سبحانه ﴿ **إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ (فصلت/٤٧) اما الآية الأولى التي خلت من الفعل (قل) فموضوعها مختلف ومحدد ، إذ جاء طلب اليهود – المعبر عنه بأهل الكتاب – أن ينـزل عليهم كتاباً من السماء ، فلم يعد السياق هنا بحاجة الى الفعل (قل) أو بحاجة إلى إجابة من الرسول الكريم ﷺ ، لان الإجابة ذكرها سبحانه في سياق الآية الكريمة، وهي بيان عاقبة السؤال بحد ذاته ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ** ﴾، بمعنى ان (قل) جاء في سياق كون الإجابة مبهمة غير معروفة ، وذلك في سؤال الناس عن الساعة اما عدم مجيئه في سؤال أهل الكتاب فلكون الإجابة معروفة في ضوء بيان العاقبة [٩] .

ثالثاً : صيغة الحال والاستقبال (يسألونك) :

جاء لفظ (يسألونك) في خمسة عشر موضعاً من الكتاب الكريم ، اقترن أربعة عشر منها بفعل الأمر (قل) وخلا موضع واحد منه ، هو ما جاء في سورة النازعات ، اما السور التي جاء فيها الفعل فهي مكية ومدنية ، المكية هي (الأعراف ، الإسراء الكهف ، طه ، النازعات) والمدنية هي (البقرة ، المائدة ، الأنفال) بمعنى ان الأحكام المستفادة منها هي أحكام عامة تتعلق بالأصول والأسس العامة للتشريع (المكية منها) ، وتتعلق بالتفصيلات والقضايا الاجتماعية والاقتصادية (المدنية منها) و (بديهي ان النزول اما أن يكون ابتدائياً ، أو على اثر سؤال أو حادث أو استفتاء ، فما

كان منه ابتدائياً فيمكن عده الأصل الأولي في الدين ، والأساس في أركان التشريع العامة ، وحجر الزواية في تنظيم العالم من قبل الله – تعالى تفضلاً منه وتحنناً ورحمة وما جاء عقب واقعة فاما أن يكون حكماً جديداً لا عهد لهم به ، أو نبا مجهولاً عند السائلين أو تفصيلاً في حدود وفرائض أجملت من ذي قبل ، وفيه تتجلى حكمة التشريع وبواعث الحكم) [1]. ان السياق العام في مواضع الفعل هو سياق حواري تحاوري (يسألونك – قل) ، والحوار ظاهرة تكررت كثيراً في الآيات الكريمات ولا ينفرد به جنس منه ، فقد حاور سبحانه الملائكة ، قال تعالى ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (البقرة/٣٠) ، ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ**﴾ (ص/٧١) ، وحاور سبحانه الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالى ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ** ﴾ (البقرة/٢٦٠) ، ومواضع حوار الأنبياء كثيرة جداً في القرآن الكريم ، وحاور سبحانه الناس أيضاً ، كقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ (الانفطار/٦) ، وقوله تعالى ﴿ **وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ (سبأ/٤٢) كما حاور سبحانه إبليس كقوله تعالى : ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۞ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ**﴾ (ص/٧٥–٧٦) وحاور الجماد وغيره كقوله تعالى ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ (فصلت/١١) ، وقوله تعالى ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ (الأنبياء/٦٩) ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ** ﴾ (الفجر/ ٢٧–٢٨) ، ولو تأملنا في آيات (يسألونك) لوجدنا ان موضوعاتها مختلفة ، مادية ومعنوية، وهي جميعاً انتظمت في سياق حواري يبدو انه من اكثر السياقات التصاقاً بالفهم والوعي والتدبر ، في ضوء ان المتلقي يتابع الحدث في سياق الحوار اكثر من غيره من سياقات الكلام الطلبية من نحو الاستفهام أو التعجب ... الخ .

فالسامع والمتلقي يصطدم – في المقطع الأول – بلفظ (يسألونك) ، وينتقل سمعه الى المقطع التالي يسألونك لماذا ؟ وعم يسألون ؟ ثم في المقطع

الاخير يرد الجواب على لسان النبي ﷺ ، قل يا محمد ، لبيان ما أريد استبيانه .

أقول أن هذه التشكيلة التعبيرية الحوارية بمقاطعها الثلاثة ، استطاعت ان تؤدي الغرض المطلوب من السؤال ، وان جاء الجواب متعيناً أحياناً (الأهلة) أو غير متعين (الروح) واستطاعت من جانب آخر أن تستوعب أحكاماً تشريعية أو اجتماعية أو إدارية ، وبهذه السياقات وغيرها بينت الشريعة ما استغلق فهمه عن الناس من خلال النصوص الكريمة .

لقد عرضنا هنا لموضوعات الفعل ، وجاء عرض الموضوعات على وفق الترتيب الالفبائي في بيان لغوي تفسيري لمعرفة بعض الأحكام التي وقف عندها الفعل ، ولمعرفة حجم هذه الاحكام .

وقد توزعت الموضوعات على قسمين مادية ومعنوية : وعلى النحو الآتي :

المادية : الأنفال ، الأهلة ، الجبال ، الخمر ، ذو القرنين ، اليتامى .
المعنوية: الإنفاق، الروح، الساعة، القتال، ما يحل من الطعام، المحيض، الميسر.

والحق ان آيات القسمين تضمنت بعض الاحكام والمفاهيم التي وقف عندها المسلمون وغير المسلمين ، والتي لم تتوضح كثيراً فجاءت هنا موضحة بشكل ازال عنها بعض الغموض والحيرة من جهة ، وأراحت الرسول الكريم ﷺ والسائلين من جهة ثانية ، مع ان قسماً منها لم يشف غليل السائلين، بمعنى ان السؤال لم يتبعه جواب ، كالسؤال عن الروح أو الساعة، ومع ذلك فان عدم الإجابة عنهما يعني ان الله سبحانه اراد قصر معرفتهما عليه وحده لان ذلك يدخل في علم الغيب الذي لم يطلع عليه احداً.

وفي الآتي عرض للموضوعات :

الموضوعات المادية :

١. الأنفال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (الأنفال/١) .

النفل الغنيمة والهبة ، والجمع أنفال ونفال ، ونفل : حلف ، وأعطى نافلة من المعروف ، والنافلة : الغنيمة والعطية [١١].

والنفل : الزيادة على الشي ، يقال نفلتك كذا إذا زدته ونفلتك : أعطيتك والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ، ومنه نوافل الصلاة ، والنوفل : الرجل الكثير العطية [١٢].

واختلف المفسرون في الأنفال – في الآية – فقيل هي الغنائم التي غنمها النبي ﷺ يوم بدر ... وقيل هي أنفال السرايا وقيل هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين من عبد وجارية من غير قتال أو ما أشبه ذلك ، وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمته ﷺ الغنائم من الغرس والزرع والرمح ، وقيل هي الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس ... وقيل : كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال وكل ارض انجلى أهلها عنها بغير قتال ، ويسميها الفقهاء فيئاً ، وميراث من لاوارث له ، وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب ، وفي سبب نزول الاية أقوال عرض لها المفسرون[١٣] .

والملاحظ في الآية الكريمة أنها حسمت موقفاً أشكل على المسلمين قبل نزولها مما تطلب السياق أمراً مباشراً منه سبحانه بافعال اتخذت صيغة الأمر (قل، فاتقوا، وأصلحوا) وذلك للالتزام بما سألوا عنه وأجيبوا به.

٢. **الأهلة:** ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ (البقرة/١٨٩).

الهلال : غرّة القمر أو لليلتين أو إلى ثلاث أو إلى سبع ... والجمع اهلة واهاليل ... وهل المطر : اشتد انصبابه ... والشهر ظهر هلاله ... واستهل الصبي رفع صوته بالبكاء [١٤]. واشتقاقه من قولهم استهل الصبي اذا بكى حين يولد أو صاح ، وقولهم اهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وانما قيل هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره [١٤].

والسؤال عن الأهلة في الآية الكريمة أي : أحوال الأهلة في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك ، فهي مواقيت يحتاج الناس الى مقاديرها في صومهم وفطرهم وحجهم... فبين سبحانه ان وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا ، لان الهلال لو كان مدوراً ابداً مثل الشمس لم يمكن التوقيت به [١٦].

٣. **الجبال :** ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا** ﴾ (طه/١٠٥– ١٠٦) .

الجبل لغة اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطوار ... وجبلة الجبل تاسيس خلقته التي جبل عليها ، وجبلة الأرض: صلابها ... وجبلة الوجه : بشرته ... وجبل الانسان على هذا الأمر أي: طبع عليه ، وأجبل القوم : أي صاروا في الجبال [١٢]. والسؤال في الاية الكريمة عن الجبال ما حالها عند البعث ، وذلك في سياق بيان اهوال يوم القيامة في ضوء المحاورة بين موسى عليه السلام والسامري ، وذكر أهل التفسير ان السؤال جاء من رجل من ثقيف ، سال النبي ﷺ كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها ، فقال ان الله يسوقها ، بان يجعلها كالرمال ، ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها .

﴿ **قُلْ** ﴾ يا محمد ﴿ **يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا** ﴾ أي يجعلها بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب ، فلا يبقى على وجه الأرض منها شي ، والقاع الصفصف : الأرض الملساء المستوية ليس للجبل فيها اثر[١٣]. واضح ان السؤال عن الجبال لم يكن عن ماهية الجبال او فائدتها أو مقاساتها ... الخ ، لكن الدهشة من تصوير مشاهد القيامة واهوالها جعل العرب ، بل المنكرين منهم لهذه المشاهد يسألون عن حال الجبال إذا نفخ في الصور ، أين تذهب ؟ وما حالها ؟ فجاء الجواب ان ذلك أمر سهل على الخالق سبحانه الذي أنشاها بقدرته وهنا لا تدخل الآية في سياق التشريع ، بل لبيان القدرة الإلهية في تحويل الاشياء وصيرورتها إلى غير ما هي عليه ، وان ذلك ليس بصعب عليه .

والملاحظ في الآية الكريمة ان الفعل (قل) اقترن بالفاء دون بقية الأفعال موضع الدراسة فما وجه ذلك ؟

يبدو لي احد أمرين ، أو هما معاً ، الأول : ان الفاء العاطفة عند النحاة تفيد معنى الترتيب والتعقيب ، وهذا يعني ان الله تعالى طلب من رسوله الكريم ان يباشر فوراً بالإجابة دون تأن أو تأخير بأن الجبال سيكون حالها هكذا ، بل تبع ذلك مجي الفاء ثانية (فيذرها) أي ترتيباً وتعقيباً دون فاصل زمني طويل .

الأمر الثاني : ربما يعود الى موسيقية الألفاظ والنظم فيها ، فقد جاءت الفاء متناسقة مع الفاءات بعدها ، فالقارئ يجد انسيابية صوتية متناغمة ، جميلة الوقع على الإذن وهو يقرأ : فقل – ينسفها – نسفا – فيذرها – صفصفاً ... وهذا ما جعل الفعل (قل) اشد حاجة الى الفاء تناسقاً مع ما بعده من تكراره مما اعطى انسيابية موسيقية خاصة ربما لا تتصاعد وتأثرها بنزع الحرف عن مكانه – وفوق كل ذي علم عليم .

٤. **الخمر :** ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ﴾ (البقرة/٢١٩) .

الخمر : ما اسكر من عصير العنب أو عام كالخمرة ... سميت خمراً لانها تخمر العقل وتستره ، أو لأنها تركت حتى أدركت واختمرت أو لأنها تخامر العقل أي تخالطه ... وكل ما ستر شيئاً فهو خامرة [١٩]. والخمر اصله الستر ، والخمر ما واراك من الشجر وغيره ومنه الخمار للمقنعة ، ودخل في خمار الناس أي في الكثير الذي يستتر فيهم ، ويقال خامره الداء إذا خالطه ... وخمرت الإناء أي غطيته ... وفي التفسير : الخمر كل شراب مسكر مخالط للعقل مغط عليه ... وقيل : الخمر عصير العنب إذا اشتد وغلي [٢٠].

والسؤال في الآية الكريمة يدخل في بيان الأحكام ، فالمستفاد منها ومن آية (النساء/٤٣) : ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى** ﴾ تحريم شرب الخمر في الإسلام [٢١].

٥. **ذو القرنين:** ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا**﴾ (الكهف/٨٣) .

جاء تكرار الكنية ثلاث مرات في القرآن الكريم ، كلها في (الكهف ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤) .

قال معاذ بن جبل : كان من أبناء الروم واسمه الاسكندر ، وهو الذي بنى الاسكندرية ، بين سبحانه قصته فقال : (ويسألونك) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره وقصته ، لا عن شخصه ، واختلف فيه ، فقيل انه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض ... وقيل انه كان ملكاً عادلاً ... وروي انه كان عبداً صالحاً احب الله واحبه الله ، وفي سبب تكنيته بذي القرنين أقوال منها :

- ان قومه ضربوه بالسيف على قرني رأسه لأنه دعاهم الى الله .
- انه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العمامة .
- انه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب .
- انه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي .
- انه رأى في منامه انه دنا من الشمس حتى اخذ بقرنيها في شرقها وغربها ، فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين [٢٢]. وقد عرضت كتب التفسير الحكمة من ذكر قصته على رسول الله ﷺ .

٦. **اليتامى :** ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ**﴾ (البقرة/٢٢٠).

بينت الآية الكريمة وضع اليتامى بين المسلمين من حيث مراعاة شؤونهم والتصرف في اموالهم ، وشرعت مبدأ إصلاح أمرهم ومخالطتهم.

جاء في التفسير : قال ابن عباس : لما انزل الله تعالى ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ** ﴾ (الإسراء/٣٤) ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا** ﴾ (النساء/١٠) انطلق كل من كان عنده يتيم ، فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه واشتد ذلك عليهم ، فسألوا عنه فنزلت هذه الآية .

ولا بد من إضمار في الكلام لان السؤال لم يقع عن أشخاص اليتامى، ولا ورد الجواب عنها فالمعنى يسألونك عن القيام على اليتامى أو التصرف في أموال اليتامى قل يا محمد ﴿ **إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ** ﴾ يعني إصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا اخذ عوض منهم خير وأعظم أجراً [٢٣]. و (هذا فيه إباحة المخالطة ، أي شاركوهم في أموالهم واخلطوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم ، فتصيبوا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأمورهم) [٢٤].

الموضوعات المعنوية:

٧. **الإنفاق :** ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ** ﴾ (البقرة/٢١٥)، ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾ (البقرة/٢١٩).

جاءت هنا آيتان في الإنفاق والنفقة ، تشابه فيهما السؤال ، واختلفت الاجابة تبعاً لبيان جهة المنفق عليه ، ونوع النفقة .

الانفاق : إخراج المال ، يقال : أنفق ماله أي : أخرجه عن ملكه ، ونفقت الدابة إذا خرج روحها ، والنافقاء : جحر اليربوع لأنه يخرج منها، ومنه النفاق لان المنافق يخرج الى المؤمن بالايمان ، والى الكافر بالكفر[٢٤] . والنفقة (إخراج الشي من الملك ببيع أو هبة أو صلة أو نحو ذلك ، وقد غلب في العرف على إخراج ما كان من المال من عين أو ورق) [٢٦]. في الآية الأولى جاء السؤال عن نوعية الإنفاق ، فأجيب عنه بجوابين:

الأول : نوعيته ، وقد عبر عنه القرآن الكريم بالخير ، وهو المال.
والثاني : بيان جهة الإنفاق ، وقد فصلته الآية الكريمة .

جاء في التفسير (أي شيء ينفقون ؟ والسؤال عن الانفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه ، فإنهم قد علموا أن الأمر وقع بإنفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة ، وعلى من ينفق فقال : قل يا محمد (ما أنفقتم من خير) أي مال ، فدل على ان له مقداراً ، وانه مما ينتفع به ، لان ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا) [٢٧] ثم بينت الآية الكريمة جهة الانفاق وهم (الوالدان والأقربون واليتامى والمساكين وابن السبيل) بتسلسل موضوعي روعي فيه درجة القرابة وشدة الحاجة ، وقيل ان هذه النفقة تسمى نفقة التطوع ، وهي مختلفة عن الزكاة ومستحقيها [٢٨].

اما الآية الثانية فالسائل هو عمرو بن الجموح ، سال عن النفقة في الجهاد وقيل في الصدقات ، وأجيب : (قل) يا محمد (العفو) ، والعفو مأخوذ من الزيادة ومنه قيل حتى عفوا ، أي زادوا على ما كانوا عليه من العدد وقيل مأخوذ من الترك من قوله ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ** ﴾ (البقرة/١٧٨) أي: ترك [٢٩] .

وفي التفسير ان في العفو أقوالاً منها : انه ما فضل عن الأهل والعيال ، أو الفضل عن الغنى ، وقيل : العفو الوسط من غير إسراف ولا إقتار ، وقيل ما فضل عن قوت السنة ... ونسخ ذلك بآية الزكاة ، وقيل انه أطيب المال وأفضله [٣٠].

٨. **الروح:** ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ (الإسراء/٨٥).

اختلف المفسرون في المراد بالروح هنا على أقوال لكنهم اتفقوا – فيما يبدو – على ان الذين سألوا الرسول الكريم ﷺ هم اليهود أو المشركون ، قيل : ان اليهود سألوه عن الروح الذي هو في بدن الإنسان ما هو ؟ ولم يجبهم ، وكانوا

بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين ، وقيل انهم سالوه عن الروح اهي مخلوقة محدثة ام ليست كذلك ؟ فقال سبحانه ﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ وقيل : ان المشركين سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك ، وكيف صار معجزاً وكيف صار نظمة وترتيبه مخالفاً لأنواع كلامنا من الخطب والأشعار ؟ وقد سمى الله تعالى القرآن روحاً في قوله ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾ (الشورى/٥٢) فقال سبحانه (قل) يا محمد ان الروح الذي هو القرآن من أمر ربي انزله دلالةً عليّ ، دلالة نبوتي ، وليس من فعل المخلوقين [٣١]. وقيل ان المراد بالروح ههنا جبرائيل عليه السلام وقيل ملك من الملائكة [٣٢].

٩. **الساعة :** ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي... يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ** ﴾ (الأعراف/١٨٧). ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**﴾ (النازعات/٤٢–٤٤) .

جاء لفظ الساعة في ثمانية واربعين موضعاً من القرآن الكريم ، الكثير منها تعني يوم القيامة ، والقليل يعني الوقت نحو قوله تعالى ﴿ ... **اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾ (التوبة/١١٧) . وقد اختلف المفسرون في المراد بالساعة / القيامة ، فقيل انها الساعة التي يموت فيها الخلق ، وقيل هي القيامة ، أي وقت قيام الناس في الحشر [٣٣]. وقيل انها اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد ، واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد [٣٤].

والمتأمل في الآيتين يجد ان آية (النازعات) خلت من الفعل (قل)، خلافاً لبقية آيات (يسألونك) التي اقترنت به .

أقول – والله اعلم – ان السياق في آية الأعراف جاء فيمن كذب بآيات الله تعالى ، ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الأعراف/١٨٢) ، ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾ /١٨٥) ، ثم عقب سبحانه ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي** ﴾ /١٨٧) .

جاء الفعل (قل) هنا لان ما بعده سياق وصفي للساعة ، وليس سياقاً زمنياً بوقت حدوثها ، فالسياق الوصفي تحدد بـ :

١. ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ .
٢. ﴿ **لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ .
٣. ﴿ **ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ .

٤. ﴿ **لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً** ﴾ .

هذه المحاور الوصفية الأربعة للساعة مطلوب من النبي ﷺ أن يظهرها لهؤلاء المكذبين ويعلنها عليهم ، فكان السياق والموقف بحاجة ماسة إلى الفعل (قل) لهم يا محمد ، ثم أعيد الأمر من باب التوكيد ﴿**يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ**﴾ ، والحفي : المستقصي في السؤال ، وأحفى فلان بفلان في المسالة إذا أكثر عليه وألح، كأنك حفي بها أي : عالم بها ، قد أكثرت المسالة عنها [٣٤].

قال بعض المفسرين انما أريد بالفعل الأول معرفة وقت قيامها ، وبالثاني معرفة كيفيتها وهيأتها وتفصيل ما فيها [٣٦].

اما في آية (النازعات) فان السياق العام مختلف ، فما سبق ذكره من آيات قد تم فيه ذكر اقتراب موعد الساعة ، أو بيان علاماتها وصورتها ، ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**﴾ (٦–٧) ، وهما النفختان الأولى والثانية ، ﴿**فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى**﴾ /٣٤) [٣٧]، وهي القيامة، وذلك في سياق تكذيب فرعون لموسى عليه السلام .

لاحظ السياق السابق ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ... فَكَذَّبَ وَعَصَى ... فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ...**﴾ ، فالظاهر – هنا – ان السياق ليس بحاجة إلى الفعل (قل) وذلك لأمرين :

الأول : ان الموقف العام ليس في تكذيب أهل الجزيرة لمحمد ﷺ ، وان جاء الخطاب بالكاف للنبي ﷺ ، بل هو في سياق تكذيب فرعون لموسى عليه السلام ، فلم تعد الحاجة قائمة إلى تذكير النبي ﷺ لقومه / قل يا محمد لهم .

الثاني : ان هناك ذكراً سابقاً للساعة وما يقاربها من معنى (الراجفة ، الرادفة، الطامة) ، فلم يعد ثمة مبرر لمجيء الفعل (قل) ، بمعنى عدم احتياج السياق العام إلى تفصيلات وافية لوقت الساعة أو كيفية حدوثها بحيث يتطلب الأمر وجود الفعل ، في الوقت الذي جاء فيه في (الأعراف) لما يتطلبه الموقف من حوار بين النبي ﷺ وقومه ، هؤلاء الذين كذبوا بآيات

الله وجحدوها ، لذا خلت (النازعات) من الفعل ، بينما تطلب ذكره الموقف العام والسياق والحدث في آية (الأعراف) ، وفوق كل ذي علم عليم .

١٠. **القتال** : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾ (البقرة/٢١٧)

المستفاد من سياق الآية ان السؤال ليس عن الشهر الحرام ، بل عن القتال فيه وحكمه فيما لو حدث .

قيل : ان السائلين هم أهل الشرك لان المسلمين بادروهم بالقتال في أول شهر رجب[٣٨]، وشهر رجب من الشهور التي يحرم فيها القتال ، وقيل : السائلون أهل الإسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف هو الحكم فيه .

جاء في التفسير: (قل) يا محمد (قتال فيه) أي في الشهر الحرام (كبير) أي ذنب عظيم ثم استأنفه وقال ﴿**وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ**﴾[٣٩].

والآية الكريمة جاءت في واقعة أشكل فيها على سرية بعثها رسول الله ﷺ قبل قتال بدر بشهرين ، وصادف فيها ان بدأ المسلمون التعرض لقافلة تعود إلى قريش في آخر يوم من شهر جمادي الآخرة واختلط الأمر على المسلمين هل أنهم بدأوا التعرض لأول يوم من شهر رجب أم لآخر يوم من جمادي الآخرة [٤٠] .

وبدا من سياق الآية الكريمة ان القتال محرم في الأشهر الحرم لا بل هو ﴿ **صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ** ﴾ .

والأشهر الحرم هي (رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم الحرام) واحد منها فرد وثلاثة متتالية وهذه الأشهر كان القتال فيها محرماً في الجاهلية وكانت العرب تنزع فيها الأسنة عن رماحها وتقعد عن شن الغارات وكان الخائف يأمن من عدوه ولو كان قاتل أبيه أو أخيه واستمر هذا التحريم في الإسلام أيضاً .

١١. **ما يحل من الطعام** : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** ﴾ (المائدة/٤)

في سياق ما شرع الإسلام جاء السؤال في الآية الكريمة عما احل الله تعالى للمسلمين من الطعام وما حرم عليهم لتتكامل الصورة التي ابتدأت بها السورة المباركة ، فبعد ان قدم سبحانه ذكر المحرمات عقبه بذكر ما احل لهم فقال (يسألونك) يا محمد (ماذا احل لهم) معناه أي شي احل لهم أي يستخبرك

المؤمنون ما الذي احل لهم من المطاعم والمأكل ؟ وقيل : من الصيد والذبائح [٤٢].

وجاء الجواب بأن الذي احل لهم هو الطيبات وما علمتم من الجوارح و(الطيب هو الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواسب من الطير والسباع، الواحدة جارحة ، وسميت جوارح لأنها تكسب أربابها الطعام بصيدها ، يقال: جرح فلان أهله خيراً إذا اكسبهم خيراً وفلان جارحة أهله أي كاسبهم) [٤٢]

وقيل سميت جوارح من الجرح لأنها تجرح الصيد عند إمساكه [٤٢].

ويستمر السياق في السورة المباركة بذكر الحلال من الطعام فقد بين سبحانه في الآية التالية ان طعام أهل الكتاب حلال أيضاً قال تعالى ﴿ **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ** ﴾ (المائدة/٥) وقال سبحانه في الآية (٩٦) من السورة ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا** ﴾ ولعلَ ذكر المحرمات من الطعام والحلال منه له علاقة بتسمية السورة بهذا الاسم (المائدة) والمائدة في اللغة خوان عليه طعام ، فان لم يكن عليه طعام فهو خوان لا مائدة [٤٤].

١٢. **المحيض** : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى** ﴾ (البقرة/٢٢٢) .

حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً فهي حائض ... وحيض : سال دمها والمحيض اسم ومصدر ، قيل : ومنه الحوض لان الماء يسيل إليه والتحييض : التسييل [٤٩].

والآية الكريمة بينت حكماً شرعياً عن إتيان المرأة وهي حائض ، ولم يكن السؤال عن الحيض ما هو وما معناه ، لذلك جاء الجواب ان إتيانها أذى ثم الأمر باعتزالها وقت الحيض حتى طهارتها بعد انقطاع الدم عنها .

جاء في التفسير : (قل) يا محمد (هو أذى) معناه قذر ونجس ، والأذى في اللغة ما يكره من كل شي ، وقيل : هو أذى لهن وعليهن لما فيه من المشقة ﴿**فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ**﴾ ، أي فاجتنبوا مجامعتهن[٤٦].

١٣. **الميسر** : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ** ﴾ (البقرة/٢١٩)

اليسر – بالفتح – اللين والانقياد ..... وبالضم السهولة والغنى .. وأيسر أيسار ويسراً : صار ذا غنى فهو موسر .... والميسر اللعب بالقداح يسر بيسر، وهو الجزور التي يتقامرون عليها [٤٢].

والميسر : القمار ، اشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لي هذا الشيء ييسر يسراً أو ميسراً إذا وجب لك ... ويقال للمقامر ياسر [٤٨].

جاء في التفسير : واما الميسر فهو القمار ، واشتقاقه عن الميسر لأنه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذلك قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فانزل الله هذه الآية [٤٩].

وقد جاء تحريم الميسر في الآية الكريمة مثلما جاء تحريم الخمر على الوجه الشرعي واضحاً لا لبس فيه .

والملاحظ ان الميسر اقترن بالخمر في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، الأول في (البقرة) – موضع الآية – والآخران في (المائدة)، الآيتان (٩٠–٩١) .

وبعد :

فقد عرضت الدراسة للفعل (سأل) المقترن بكاف الخطاب ماضياً ومضارعاً، والمعنى به الرسول الكريم ﷺ ولحظت ان بعض الأسئلة احتوت أحكاماً استغلق فهمها عن السائلين ، وبعضها الآخر جاءت للتشكيك في دعوة النبي أو نبوته ﷺ أو لإحراجه ، وبخاصة تلك التي وجهها أهل الكتاب ومن لم يؤمن به نبياً من قومه ، فبين – سبحانه – الإجابة في ضوء أسلوب تحاوري جديد أسميناه أسلوب (يسألونك – قل) مما لم تستعمله العرب في نصوصهم الأدبية ، وقد سلط العرض الإحصائي الضوء على بعض المسائل اللغوية أو التعبيرية أو البيانية مما اجتهدت فيه، فضلاً عن مراجعة تفسيرية عرض لها المفسرون فان أصبت فحسبي أجران ، وان أخطأت فحسبي اجر المجتهد ، والله من وراء القصد .

المصادر

❖ **القرآن الكريم .**

١. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
٢. إملاء ما منّ به الرحمن : أبو البقاء العكبري ، ط٣ ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ.
٣. البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي ، مصر ، ١٩٧٢ .
٤. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير ، لبنان ، د. ت.
٥. تفسير الخازن (لباب التأويل) علي بن محمد الخازن ، مصر ، د. ت. ، وبهامشه تفسير البغوي .
٦. تفسير الطبرسي (مجمع البيان) أبو علي الطبرسي ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .
٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) محمد بن احمد القرطبي، القاهرة، ١٩٦٧.
٨. دراسات قرآنية : د. محمد حسين الصغير ، إيران ، ١٤١٣هـ .
٩. شرح الفصيح : ابن هشام اللخمي ، بغداد ، ١٩٨٨ .
١٠. العين : الخليل بن احمد ، بغداد ، ١٩٨٤ .
١١. القاموس المحيط : مجد الدين الفيروزآبادي ، مصر ، ١٩٥٢ .
١٢. الكشاف : جار الله الزمخشري ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠١ .
١٣. لسان العرب : ابن منظور ، بولاق ، ١٩٧٩ .
١٤. مغني اللبيب : ابن هشام ، مصر ، د. ت.

الهوامش

(١) انظر : العين ، لسان العرب ، القاموس المحيط (سأل) ، (فتي) .
(٢) انظر : العين ، لسان العرب ، القاموس المحيط (سأل) ، (فتي) .
(٣) مجمع البيان ١١٧/٣ .
(٤) مجمع البيان ٢٧٨/١ ، وانظر الكشاف ٢٥٥/١ .
(٥) الاتقان ١٥٠/٢ ، وانظر : مغني اللبيب ٩٢/١ – ٩٣ ، البرهان ١٩١/٤ .
(٦) مجمع البيان ٥٦٤/١٠ .
(٧) مجمع البيان ٢٧٨/١ ، وانظر : املاء ما من به الرحمن ٨٢/١
(٨) مجمع البيان ٢٧٨/١ ، وانظر الكشاف ٢٥٥/١ ، تفسير الخازن ١٣٤/١ .
(٩) ينظر في تفسير الآيتين : مجمع البيان ١٣٣/٣ ، ٣٧٢/٨ ، الكشاف ٦١٨/١ ، ٥٧١/٣ .
(١٠) دراسات قرآنية ٥٥ .
(١١) القاموس المحيط (نفل) .
(١٢) مجمع البيان ٤/ ٥١٧ ، وانظر : الكشاف ١٨٣/٢ .
(١٣) مجمع البيان ٤/ ٥١٧ ، وانظر : الكشاف ١٨٣/٢ .
(١٤) القاموس المحيط (هلل) .
(١٥) مجمع البيان ٢٨٣/١ ، وانظر : الكشاف ٢٦١/١ .
(١٦) مجمع البيان ٢٨٣/١ ، وانظر : الكشاف ٢٦١/١ .
(١٧) العين (جبل) .
(١٨) مجمع البيان ٢٩/٧ ، وانظر : الكشاف ٨٨/٣ .
(١٩) القاموس المحيط (خمر) .
(٢٠) انظر : مجمع البيان ٣١٥/١ – ٣١٦ الكشاف ٢٨٨/١ .
(٢١) ينظر : في الخمر وتحريمه ومتعلقاته : تفسير الخازن ١٧٤/١ – ١٧٨ .
(٢٢) انظر : مجمع البيان ٤٨٩/٦ – ٤٩٠ ، الكشاف ٦٩٣/٢ ، تفسير القرطبي ٤٨/١١ وما بعدها وفي قصته : تفسير ابن كثير ١٠٠/٣ .
(٢٣) انظر مجمع البيان ٣١٦/١ – ٣١٧ .
(٢٤) تفسير الخازن ١٧٩/١ .
(٢٥) مجمع البيان ٣٨/١ ، وانظر : شرح الفصيح ١٠٣ ،اللسان (نفق) .

(٢٦) مجمع البيان ٣٠٩/١ .
(٢٧) مجمع البيان ٣٠٩/١ .
(٢٨) انظر : مجمع البيان ٣١٠/١ ، الكشاف ٢٨٤/١ ، تفسير الخازن ١٧١/١ .
(٢٩) مجمع البيان ٣١٥/١ .
(٣٠) مجمع البيان ٣١٦/١ ، وانظر الكشاف ٢٩٠/١ ، تفسير الخازن ١٧٩/١ .
(٣١) مجمع البيان ٤٣٧/٦ ، وانظر في معنى (الروح) في سورة (القدر) نفسه ٥٢٠/١٠ .
(٣٢) تفسير ابن كثير ٦١/٣ ، وانظر الكشاف ٦٤٥/٢ .
(٣٣) مجمع البيان ٥٠٦/٤ .
(٣٤) مجمع البيان ٣٠٠/٤ .
(٣٥) مجمع البيان ٥٠٦/٤ ، وانظر : الكشاف ١٧٣/٢ .
(٣٦) مجمع البيان ٥٠٦/٤ ، وانظر : الكشاف ١٧٣/٢ .
(٣٧) أي : تطم على كل داهية هائلة ، أي تعلو وتغلب اللسان (طمم) .
(٣٨) سمي شهر رجب بالشهر الأصم عند العرب لأنه لا تسمع فيه قعقعة السلاح .
(٣٩) مجمع البيان ٣١٢/١ ، وانظر : الكشاف ٢٨٦/١ .
(٤٠) انظر في التفصيل : مجمع البيان ٣١٢/١ ، الكشاف : ٢٨٥/١ ، الخازن ١٧٢/١ .

(٤١) مجمع البيان ١٦١/٣ ، وانظر الكشاف ٦٤٠/١ .
(٤٢) مجمع البيان ١٦٠/٣ .
(٤٣) تفسير الخازن ١١/٢ .
(٤٤) لسان العرب (ميد) .
(٤٥) القاموس المحيط (حيض) .
(٤٦) انظر : مجمع البيان ٣١٩/١ ، الكشاف ١/ ٢٩٢ ، الخازن ١٨١/١ .
(٤٧) القاموس المحيط : (يسر) .
(٤٨) مجمع البيان ١/ ٣١٥ ، وانظر : الكشاف ٢٨٨/١ ، تفسير القرطبي ٥٨/٣ .
(٤٩) تفسير الخازن ١٧٨/١ ، وانظر بهامشه : تفسير البغوي .